الجذور التاريخية لمشكلة دارفور في السودان

ستار نوري العبودي ماجد محيي عبد العباس

مقدمة البحث

أثار التصعيد المسلح بين الأطراف المتنازعة في إقليم دارفور السوداني ، في الآونة الأخيرة ، جملة من التساؤلات عن حقيقة تلك الأزمة الناشئة وعن أطرافها ومداخلاتها ، بين العديد من المهتمين بالشأن السوداني أو العربي الأفريقي ، لاسيما وإنها جاءت ، في ظل مرحلة من المتغيرات الإستراتيجية ، ليس على صعيد المنطقة حسب وإنما على صعيد الإستراتجية الدولية كذلك ، في ظل عالم يشهد قائم على أساس الأحادية القطبية ، وما يترتب على ذلك من إعادة بناء الموازنات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ولهذا لا يستبعد البعض ، في أن تكون بعض الأطراف السياسية والإعلامية الدولية ، أو المحلية أو الإقليمية المرتبطة بها ، قد أسبغت على هذه القضية ، طابعا عنصريا لأسباب سياسية داخلية أو دولية معروفة خلال هذه المرحلة . ولذلك يحق للمثقف الأكاديمي، أو المثقف بشكل عام أن يتساءل عن حقيقية تلك القضية وأسباب الصراع الدامي فيها ؟ من خلال دراسة الجذور التاريخية للمشكلة ..

هذه الدراسة ، هي محاولة أولية جادة لجذور المشكلة في دارفور من منظور تاريخي ، تحاول الإجابة على بعض التساؤلات المهمة المتعلقة بالمشكلة.. من خلال أعطاء تصور شامل للطبيعة الجغرافية والسكانية للإقليم وللأطراف المتنازعة فيه ، دون أي إهمال لطبيعة العناصر المهمة الأخرى التي تدخل في اصل المشكلة والمتمثلة بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والدينية في أجزاء البحث الأخرى .

اعتمدت الدراسة عددا من المصادر التاريخية والجغرافية والسياسية العربية والأجنبية المتوفرة فضلا عن بعض الدوريات المهمة ، أو الصحف والمجلات التي تناولت الموضوع من قريب أو من بعيد ، والمنشورة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) للاحاطة بالموضوع من جميع جوانبه .

نعتقد بتواضع ، إن دراستنا هذه ، برغم ما فيها من ثغرات ، ربما جاءت رائدة في هذا المجال ، لعدم وجود دراسة تاريخية أكاديمية وافية أخرى عن الموضوع ، حتى الآن ، على حد علمنا وإطلاعنا ، على أقل تقدير في الجامعات العراقية ، ولهذا جاءت رحلتنا في البحث عن المصادر المتنوعة وبخاصة في الصحف والمجلات المنشورة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) لتغطية مختلف زوايا الموضوع . وللحقيقة نقول ، أن قناعتنا بدراسة علمية شاملة للموضوع ، تستدعي القيام ببحث ميداني شامل لتغطية كافة جوانب المشكلة ، المتعددة الوجوه . ومع ذلك فأن محاولتنا هذه ، لا تخلو من فائدة علمية للباحث في أطار العلوم التاريخية والسياسية، أو أنها تؤسس لموضوع دراسة جديدة لاحقة في المستقبل . .

أولا : الطبيعة الجغرافية والاقتصادية لإقليم دارفور :

يعد إقليم دارفور من اكبر الأقاليم الإدارية السودانية الحالية ، ويقع على الحدود السودانية الغربية ، تحده ليبيا في الزاوية الشمالية الغربية ، وتشاد غربا وجمهورية أفريقيا الوسطى من الجنوب الغربي ومن الجنوب نهر بحر العرب ومن الشمال الغربي نهر بحر الغزال ومن الشرق كثبان إقليم كردفان ومن الشمال الشرقي الإقليم الشمالي السوداني، وتمتد بعض المجموعات السكانية فيه إلى بعض تلك الدول المجاورة وخاصة تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى [1] .

(1) عبد العزيز كامل ، دراسات في الجغرافية البشرية للسودان ، دار المعارف القاهرة ، 1974، ص 13.

تبلغ مساحة إقليم دار فور 510.888 كم^2 من مجموع المساحة الكلية للسودان والبالغة 2.505.823 كم ^{2}. وبذلك فان مساحة إقليم دار فور ، تشكل حوالي 1 / 5 من مجموع المساحة الكلية للسودان ، أو ما يزيد على ذلك بقليل ، أي أن مساحته بحجم يزيد على مساحة العراق أو ولاية كاليفورنيا الأمريكيـــة أو نصـــف مساحة دولة مصر ، وتعادل مساحة الإقليم ثلاث دول أوربية حالية ،هي فرنسا وهولندا والبرتغال . بينما بلغ عدد سكان إقليم دارفور حوالي ستة ملايين نسمة ، بموجب احصاء سنة 1987[1]

ويقع الإقليم بين خطوط طول ْ22 و 27 ْشرقا وخطوط عرض ْ16.10 شمالا [2] ، تتوسطه سلسلة جبـــال مرة وهي أعلى سلسة في السودان ، يصل ارتفاعها إلى 3000 م ، كذلك يوجد فيه عدة جبال أخرى منهـــا جبل الميدوب وجبل أبو فزان وجبل تقابو وجبل فشار وجبـــل أم كردوس وجبال الـــدابو . وتتوفر فيها عددا من الموارد المائية المهمة ، مثل نهـــر بحر الـــعرب الذي يصب في نهر بحر الغزال وروافـــده المتعـــددة وبحيرة كندى ، فضلا عن عدد من عيون المياه العذبة [3] .

يتكلم غالبية السكان في الإقليم ، اللغة العربية إلى جانب لغات محلية أخرى ، وينقسم هؤلاء السكان إلى مجموعات قبلية متنوعة بعضها عربية وأخرى افريقية (حامية وسامية) ، ويبلغ عدد هذه المجموعـــات حوالي 160 مجموعة قبلية (عربية وأفريقية) تضم الأفريقية ، قبائل الفور والزغاوة والمســـاليت والبرتـــي والتاما والبرمق والفلاتة ، فيما تضم القبائل العربية الرزيقات والتعايشة والهبانية وبنـــي حليـــة والمســـيرية والمعاليا والسلامات .

---

(1) Ministry of information Repluic of the sudan , investment puplic corporation , 1993 , p . 5 .

(3) William Benton , Helen Hemingway vol , 17 the new Encyclpadia , london , 1975 , p. 750 .

(4) محمد محمود الصياد ، اقتصاديات السودان ، منشورات الجامعة العربية ، القاهرة ، 1975 ، ص 4 .

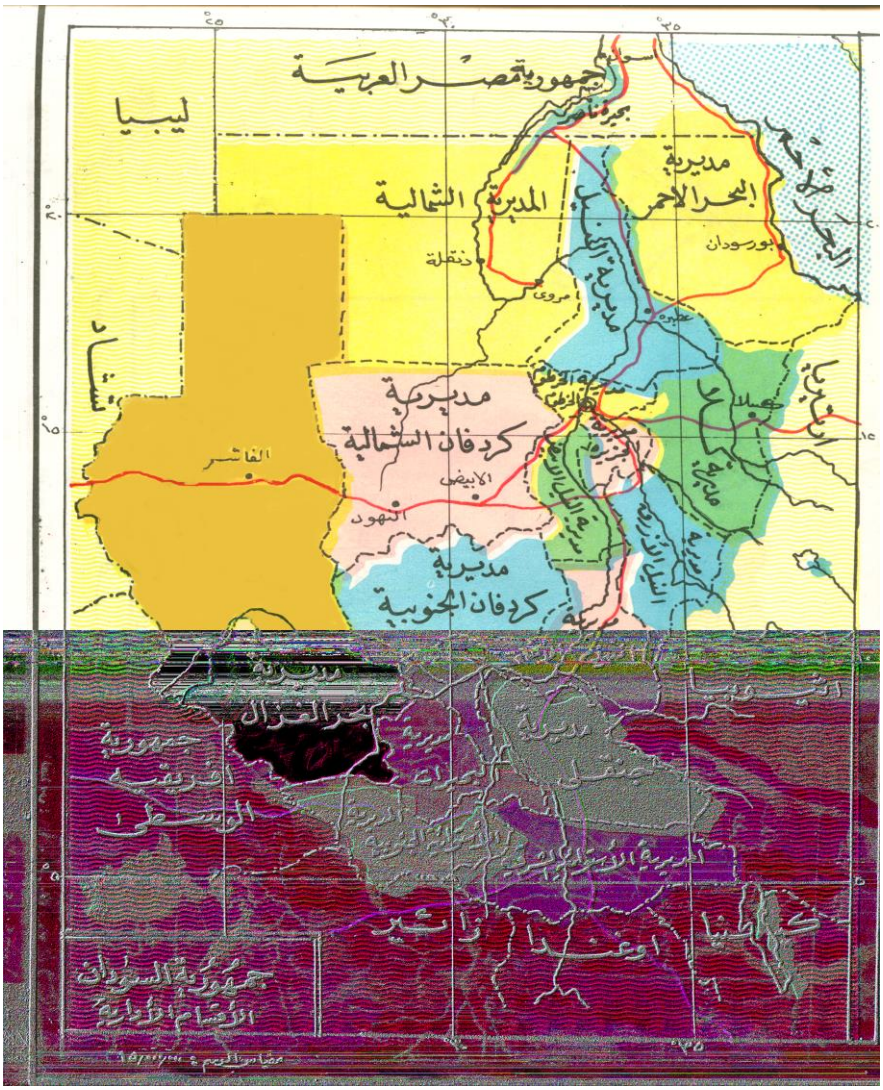

إقليم

دار فور

خارطة جمهورية السودان الإدارية الحالية وفيها يمكن ملاحظة خارطة إقليم دار فور

شكل سكان الريف في دارفور نسبة تقارب 75% بينما شكل الرعاة الرحل (البدو) نسبة 15% في حين شكل سكان المدن نسبة تبلغ 10% [1] .

كما يمكن تقسيم القبائل في دارفور إلى مجموعات القبائل المستقرة في المناطق الريفية مثل الفور والمساليت والزغاوة والبراجو والتنجر والتامة ، فضلا عن مجموعات القبائل الرحل التي تتنقل من مكان لأخر من التي وفدت إلى الإقليم مثل ابالة وزيلات ومحاميد ومهرية وبني حسين والرزيقات والمعالية ، وغالبية القبائل المستقرة من الأفارقة ويتكلمون لغات محلية عديدة بالإضافة إلى العربية وبعضهم من العرب ، أما غالبية القبائل الرحل فهم من العرب ويتكلمون العربية وبينهم أفارقة ، يتكلمون العربية أيضا ، وقد عاش الرحل

(1) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، الجزء الأول، دار الثقافة ،بيروت ،1967 ، ص 53 _ 56 ، ينظر كذلك :
Ministry of information of Repluic of the sudan ,op,cit, p 5.

خارطة توضح سكن القبائل الافريقية باللون غامق والعربية في دار فور باللون الفاتح[1]

والمجتمعات المستقرة وشبه الرعوية والمزارعين في دارفور في انسجام تام منذ أقدم الأزمنة، وهناك علاقات مصاهرة بينهما ، حيث اعتادت مجموعات الرحل على التنقل في مواسم الجفاف فى المناطق الزراعية بعد جني الثمار وان لم يخل الأمر في أوقات الجفاف من بعض المناوشات المتكررة بين الرحل والمزارعين في نطاق ضيق سرعان ما كان يجري حلها[2]).

ويعد البعض إقليم دار فور ، بأنه (أفريقيا مصغرة) أو (سودان مصغر) نظرا لمشاكلها وتنوعها العرقي والثقافي ولا يشابهه في هذا الوضع العرقي والثقافي في السودان إلا إقليم أم درمان [3] . وليس غريب أن نجد أن أكثر الصراعات القبلية في السودان تدور في إقليم دارفور نظرا للتركيبة المتشابكة والمتداخلة فيه.

جاءت تسمية دارفور من وجود قبيلة (الفور) الأفريقية فيها وهي الأشهر ، وتعني الكلمة (ديار قبيلة الفور) ، أما أكبر مدن المنطقة فهي الفاشر (عاصمة الشمال) ونيالا (عاصمة الجنوب) والجنينة (عاصمة الغرب) ، بالإضافة إلى زالنجي والضعين وبرام [4] .

يحترف معظم أهالي الإقليم الزراعة والرعي كحرفتين أساسيتين ويتحركون بحيواناتهم في أراضي واسعة يتراوح مناخها من السافانا الغنية إلى المناخ الصحراوي حيث يوجد في هذا الإقليم ثلاث مناخات

---

(1) الخارطة مأخوذة عن ،احمد عبد القادر أرباب ، تاريخ الاسلام في دار فور ، على موقع الانترنيت :
Islam , on line net

(2) محمد احمد كرار ، انتخابات وبرلمانات السودان توثيق وتحليل ، الخرطوم ، ط 2 ،1992، ص 10 .

(3) جودة حسين جودة ، جغرافية أفريقيا الإقليمية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1985 ، ص 235 .

(1) محمد إبراهيم الحاج موسى ، التجربة الديمقراطية ونظم الحكم في السودان ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1970 ، ص 520 .

مختلفة تقريبا وهي المناخ شبه الصحراوي في الشمال ومناخ شبه البحر المتوسط في منطقة جبل مرة الـذي يصل ارتفاعه إلى عشرة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر ، وفي الجنوب والجنوب الغربي تنمو حشـائش السافانا ، وتبعا لذلك تختلف درجات الغطاء النباتي وتوفر المياه باختلاف فصول السنة مما يتحتم معه تزايـد حركة الرعاة في المنطقة طلبا للكلأ والماء [1] الأمر الذي تسبب في احتكاكات ونزاعات بين القبائـل التـي تعتمد في معيشتها على الزراعة وتلك التي ترعى الأغنام والماشية والجمال، وكنتيجة للتزاحم على مصـادر العشب والمياه .

توزعت الأنشطة الاقتصادية ، بين السكان في دارفور توزيعا مناطقيا وقبليا في وحدات أثنية ، حيث عمل سكان الجزء الشمالي من الإقليم من القبائل العربية في رعي الإبل (الأبالة) بينما عمل سـكان القطـاع الأوسط من قبيلة الفور والقبائل غير العربية الأخرى المستقرة في الزراعة ،وعمل سكان المناطق الجنوبيـة العربية الأخرى المستقرة في الزراعة ، في حين عمل سكان المناطق الجنوبية من القبائل العربية في رعـي الأبقار (البقارة) [2] .

أما أهم المحاصيل الزراعية في الإقليم ، فهي الفول والسمسم و الذرة والدخن والبهارات ، وساهمت هذه المحاصيل في رفد القطاع التقليدي بأكثر من 45% من عائد الصادرات السودانية ، حيـث تبلـغ نسـبة السمسم 22% والماشية واللحوم 13% والصمغ العربي5 % فضلا عن الكركدي وحب البطيخ 10% [3].

ثانيا : التطورات التاريخية في إقليم دارفور :

تشير المصادر التاريخية إلى أن منطقة (إقليم) دارفور، كانت معروفة للعالم ، قبل الإسلام فقـد زارهـا القائد الفرعوني (حركوف) ، كما عمل الرومان على ربط دارفور بمصر ، طمعا في استغلال ثرواتها ، وكان (درب الأربعين) الشهير يربط بين مدينة أسيوط المصرية ودارفور ، وقد وفد كثير من التجار والمستكشـفين من مناطق مختلفة من العالم إلى دارفور، إذ كانت أحدى محطات التجارة المهمة في القارة الأفريقية وخاصة في منطقة حوض أعالي النيل[4] .

حكمت سلطنة (الداجو) إقليم دارفور بين القرنين (الثاني عشر والثالث عشر) الميلاديين ،واستقرت حكومتها في المنطقة الواقعة جنوب شرق جبل مرة ، حكم منهم ستة سلاطين أولهم السـلطان عبـد الله داج وأخرهم السلطان عمر بن امن الشهير بـ (كسافرو) والداجو توزعوا في خمس مناطق ، تركزت في كردفان (جبال النوبة حاليا) ودار فور وتشاد وعرف عنهم ولعهم بالطرب والموسيقى ، حتى أنهم اخترعـوا بعـض الآلات الموسيقية ومنها الطبل (النقارة) وصفارة الأبنوس [5] .

وأعقبت الداجو في حكم منطقة دارفور قبائل التنجر في نهاية القرن الثالث عشـر المـيلادي واسـتمر حكمهم إلى النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، أي حوالي قرن ونصف لاسيما وأنهم كانوا موجودين في

---

(2) مهدي أمين التوم ، مناخ السودان ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دار نافع للطباعـة ، القـاهرة 1974 ، ص 10 كذلك ينظر ؛ سعد الدين فوزي ، جوانب من الاقتصاد السوداني ، المطبعة الكمالية ، القاهرة 1958 ، ص 16 .

(3)Medani Mohammed Ahmed , development of agriculture in the sudan , university of Khartoum , 1994 . p. 2 .

(4) فتحية محمد حسن، تحليل التغيرات الهيكلية في الاقتصاد السوداني ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، معهد البحوث والدراسات العربية، 1988، ص 52 كذلك ؛ جودة حسين جودة ،المصدر السابق،ص 233.

(1) مكي شبيكة ، السودان عبر قرون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، 1967، ص 117.

(2) قيصر موسى الزين ، فترة انتشار الاسلام والسلطنات في افريقيا ، مركز محمد عمر البشير للدراسات والنشر السودانية ،الخرطوم ، ط 1 ، 1988 ، ص 85.

شمال دارفور عندما كان الداجو في جنوب دارفور وينسب البعض التنجر إلى عرب بني هلال ويذهبون إلى إنهم أول قبيلة تدخل اللغة العربية إلى دارفور بينما يرى آخرون انهم من النوبيين ، ورأي ثالث يقول ، إنهم ينتمون إلى قبائل الفور[1] .

واشتهر التنجر بالتجارة وكانت عاصمتهم (اروى) من المدن المزدهرة في ذلك الوقت وكان تجار القاهرة ، يمدونهم بالسلاح مقابل الحصول على الذهب . وعرف عن التنجر عاطفتهم الإسلامية ، كما عرف عنهم المرونة في الحكم وعدم اللجوء إلى القسوة في إدارة ممتلكاتهم ، على خلاف ما كان يفعله الداجو ، كما عرفوا بفنونهم المعمارية الجيدة ، حيث لا تزال هناك أثار لطريق مرصوف في اروى [2] .

دبت روح الضعف في سلطنة التنجر نتيجة لسيادة روح التوسع في أخر عهد جتا في منتصف القرن الخامس عشر ، بحيث أصبح من الصعب على السلطات إدارتها نتيجة لسعتها مما أدى إلى اضمحلالها تدريجيا وسقوطها في أيدي قبائل الفور سنة 1445 [3] وحين جاء الدور إلى قبائل الفور لتحكم المنطقة وكان يطلق عليهم (التورا)[*] ، وكان التورا يبنون بيوتا دائرية يطلقون عليها (بتورنق تونقا) أي بيوت العمالقة ، واستوطنوا جبل مرة ، ولم يختلطوا بعناصر أخرى فحافظوا على الكثير من اصولهم . وعندما دخل الإسلام منطقتهم عرفوا بالفور ، وكانت بينهم وبين التنجر مصاهرات كثيرة مما حدا بالبعض للجزم ، بأنهم من اصل واحد وهو التورا [4] .

ويعد سليمان سلونق أي سليمان العربي أول سلطان قام بتأسيس دولة دارفور الإسلامية عام (1445) [5] ، واستطاع اخضاع (37) زعامة ومملكة صغيرة لحكمة ، بعدما خاض حوالي (32) معركة ، ضد هذه الممالك والزعامات ، تكونت تلك الدولة ، من المسلمين والوثنيين[6]، وبدأ السلطان بتدعيم سلطته في دارفور في بداية الأمر، فقام بخلع الزعامات المحلية وولى على بلادهم زعماء جدد من أهلهم ، وبدأ حكم ما يعرف بالكيرا[**] أو الفور أو الفور الكيرا في دارفور . فحزن زعماء التنجر لفقدهم السيطرة على الحكم في دارفور ، فكانوا إذا جلسوا مع الفور يلبسون العمائم السوداء [5] .

---

(3) قيصر موسى الزين ، المصدر السابق ، ص87.

(4) Hrw . org / arabic / reports / 2004 / sudan - dargh

(1) Hrw . org / op,cit.

(*) التورا : كلمة تعني العملاق ، إذ تميز التورا بأنهم كانوا ، طوال القامة ، ضخام الأجساد .

(2) Islam , on line net ,op,cit.

(3) هناك من يرى ، ان تلك السلطنة تأسست سنة 1640 في الإقليم من قبل رئيس قبائل الفور (سليمان سلونجا)، بنظر بهذا لصدد ، رأفت الشيخ (د .) ، مصر والسودان في العلاقات الدولية ، القاهرة ،1979، ص 79.

(4) هناك سبعة من الممالك والزعامات ، كانوا مجوسا وهم كل من (كاره ، دنقوا ، تنقروا ، بينة ، بايه ، فروقي ، شالا) . سكنوا الجنوب الغربي من دار فور ، وأصبحوا فروعا من كيان الدولة المسلمة وحسن إسلامهم . للمزيد من التفصيل ينظر حسن الفاتح قريب الله ، التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفوبخ ، جامعة الخرطوم ، الطبعة الأولى ، 1987 ، ص 10.

(**) الكيرا : اهم واكبر فروع الفور والتي عدها البعض 99 فرعا. واسم الكيرا تحريف لكلمة(خير) وهو اسم ام السلطان سليمان ، التي أخذت عنها تلك الاقوام التسمية ، المصدر نفسه .

(5) Islam , on line net ,op,cit.

واستمر الفور يحكمون دارفور(1445 ــ 1875) إي حكموا 430 عاما دون انقطاع وبلغ عدد سلاطينهم (27) سلطانا ، وكان حكمهم شبيه بما يعرف اليوم ، بالحكم الفيدرالي ، حيث قسمت سلطنة دارفور الإسلامية إلى أربع ولايات رئيسية تحت قيادة سلطان البلاد وساعده في الحكم ، مجلس وزراء تألف من (12) وزيرا ، ومجلس شورى ، وكان مجلس وزراء السلطان ، يقع عليه العبء الأكبر في اختيار السلطان الجديد بعد وفاة السلطان ، بالتنسيق مع مجلس الشورى[1] .

تكون المجلس الاستشاري للسلطنة (مجلس الشيوخ) ، من 12 عضوا من الأعيان بما فيهم حكام الولايات الأربع ، وكان اختصاصه ، مساعدة السلطان في تسيير أمور البلاد والمساهمة في اختيار السلطان الجديد [2] .

وبعد وصول محمد علي باشا إلى سدة الحكم في مصر (1805 ــ 1849) تكشفت دوافعه الحقيقية بالتواجد على ارض دارفور ، حيث بدأت المعارك بين الجانبين في 16 / 4 / 1821 في مدينة بارا ، و على أثرها هزم جيش الفور واستطاع جيش محمد علي بقيادة صهره محمد بيك الدفتر دار ، السيطرة على كردفان التي كانت تابعة لدار فور في نهاية سنة 1821 ، ثم حاول محمد علي مصالحة سلطان دارفور لحاجة مصر للنحاس ، من خلال اتفاقية لكنه فشل في ذلك ، وكان عهد محمد علي باشا بداية الانفتاح للعلاقات بين الجانبين ، أما في عهد ابنه الخديوي إسماعيل فكانت العلاقة معه ملتبسة بعض الشيء ، فعلى الرغم من التبادل التجاري بين الجانبين إلا أن سلطان دارفور شعر بوجود أطماع مصرية في مملكته ، لذا قام بتجنيد عشرة آلاف جندي وسلحهم بأسلحة حديثة [3].

لكن الخديوي إسماعيل (1863 ــ 1879) قرر السيطرة على دارفور وغزوها من جهتين ، مما دفع سلطانها بالدخول في تحالف مع سلطة وداي المجاورة لتوحيد الدفاع والمقاومة ضد الخديوي ، لكن قوة الجيش المصري حسمت الأمر فتم إسقاط مملكة دارفور والسيطرة عليها في 24 / 10 / 1874 بعد عدة معارك كبيرة ، دارت رحاها في دارفور ، وساعد فيها (الزبير رحمة) احد كبار تجار الرقيق في منطقة بحر الغزال ، الجيش المصري لتحقيق هدفهم ، حيث استطاع الزبير أن يهزم سلطان دارفور (إبراهيم قرض) في معركة منواشي [4] بتاريخ 25 / 10 / 1874 . وفي تلك المعركة التقى الجيشان ، جيش الزبير وجيش ابراهيم قرض ، وكان تعداد الجيش الأول ، تسعة آلاف ، وفي المعركة قتل ابراهيم وأخوه الأكبر ابو البشر ، كما قتل في تلك المعركة المئات من أمراء دارفور وكبار أعيانها فيما عرف بمذبحة منواشي ، وعلى أثر ذلك، دخل اسماعيل باشا المدينة ، فيما انسحب منها عم السلطان ابراهيم قرض ، حسيب الله الى جبل مرة ، فاستقر اسماعيل باشا في المدينة ، في الوقت الذي كان الزبير يطارد العم حسيب الله ، حتى اجبره على الاستسلام للحكم المصري سنة 1875 ، وبذلك يكون ابراهيم اخر سلاطين الفور . [5] .

لكن فكرة الاستقلال بقيت راسخة في أذهان أهل دارفور ، فعقب هزيمة منواشي ، لم تضعف روحهم القتالية بعد مقتل سلطانهم ، بل قاموا بتشكيل حكومة أشبه ما تكون بحكومة ظل ، تحملت مسؤولية

---

(1) www. Midan . net .

(2) www. Alwatan . com .

(3) احمد زكريا الشلق ، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، الدوحة ، 1996 ، ص 241 .

(4) سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث 1516 - 1916، الموصل 1991 ، ص 276.

ينظر كذلك ؛) احمد زكريا الشلق ، المصدر السابق

(1)alan bua@ alanbau.

النضال من اجل الاستقلال ، حيث قامت خلالها عدة ثورات عنيفة ، منها ثورة السلطان (حسب الله) في جبل مرة الذي استسلم دون مقامة للزبير مما أثار غضب أهل دارفور ، فقاموا بتتويج الأمير بوش بن السلطان محمد الفضل ، سلطانا على دارفور في مارس(آذار) 1875 وكلفوه بمواصلة النضال من اجل التحرير [1] .

وخاض الزبير رحمة حربا ضارية ضد الأمير بوش استمرت خمسة عشر يوما خسر فيها الأمير بوش كثيرا من رجاله وعتاده فأضطر للانسحاب من جبل مرة ، ثم ما لبث أن قُتل أثناء مطاردة الزبير له ، لكن روح النضال لم تهدأ وتولى حكومة الظل في دارفور من بعده السلطان (هرون بن سيف الدين) الذي قام بثورة كبيرة في 1877 وناهض الحكم المصري التركي لكنه قتل أيضا في سنة 1880، فقامت ثورة أخرى بقيادة الزعيم (مادبو) سنة 1881 ، كما قامت قبيلة بني هلبة بثورة في جنوب دارفور [2] . واستمر النضال حوالي تسع سنوات ونصف ، حتى تم لدار فور تحقيق الاستقلال عن الحكم المصري عام 1883 .

وانتهى الأمر بالحكم المصري في دارفور بعد أن أرسلت القاهرة رسالة سرية إلى الحاكم المصري في دارفور (سلاطين باشا)[*] تأمره بأن يجمع قواته المتفرقة في دارفور في منطقة الفاشر ، ثم يسلم الحكم إلى الأمير (عبد الشكور عبد الرحمن شاتوت) وهو من أمراء دارفور وشاءت الأقدار أن يتوفى عبد الشكور قبل أن يصل إلى دارفور قادما من القاهرة[3] .

وبعد رحيل المصريين عن السودان سنة 1883 خضعت دارفور لحكم المهديين وكان أول من تولاها الأمير (محمد خالد زقل) بعد ما سيطر عليها في 15 كانون الثاني 1884 ، وكان أمراء دارفور يرفضون الخضوع للدولة المهدية ، فأعلن الأمير (دود بنجة) ، انه لا يقبل بوجود إي نفوذ لتلك الدولة في دارفور . وساندته في ذلك ، كثير من القبائل فيما ذهب اليه وذلك ما جعل العلاقات متأزمة مع المهديين ، لكن معنويات (دود بنجة) ما لبثت أن خارت واعترف بسلطة المهدية فقابل المهدي واقر بالولاء له وانضم إلى صفوف جيشه [4] .

لكن ذلك لم ينهي الموضوع ، فقد تجددت المعارك ثانية من اجل استقلال دارفور عن المهدية ، كمعركة دارة ومعركة ود بيرة في الثاني والعشرين من كانون الثاني سنة 1888 وهو ما أربك موقف المهديين في دارفور ، ومن الثورات الأخرى التي أرهقت المهديين في دار فور أيضا ، ثورة (أبو جميزة) سنة (1889) واسمه محمد زين من قبيلة ارينقة من غرب دارفور ، وكان الرجل صوفيا فصيحا ، قرر تخليص البلاد من المهدية التي أرهقت الناس وأساءت استخدام السلطة ، فأعلن عن مبادىء ثورته التي تستند إلى الكتاب والسنة النبوية ، وكان لهذه الثورة أبعاد وأهداف دينية وسياسية ، حضت بمساندة بعض السلطنات المجاورة كسلطنة وداي وسلطنة دار سيلا ، واستقطبت ثورة أبو جميزة اهتماما كبيرا ، لكن وفاته خلال تلك المرحلة أعاقت مشروع ثورته [5]

---

(2)www. Midan . net .

(3) www. Alwatan . com .

(*) سلاطين باشا ، نمساوي الأصل عين مفتشا عاما على السودان في عام 1900 وهو صاحب كتاب السيف والنار في السودان: www. Alwatan . com .

(4) المصدر نفسه .

(1) www. Rayaam . com

(2) مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص 212 .

في ظل الحكم المهدي لدار فور (1884 _ 1898) ، قامت حكومة ظل أخرى في دارفور بقيادة السلطان أبو الخيرات إبراهيم قرض والذي قام بتصعيد المقاومة ، وساعده في تلك المقاومة جيش أبو جميزة وعدد كبير من القبائل في دار فور. وعلى أثر ذلك دارت معارك طاحنة بين الجانبين هزم فيها جيش أبو الخيرات ، لكنه لم يهدأ واخذ في التحريض على الثورة حتى اغتيل في 9 شباط 1891 [1] .

بعد اغتيال أبو الخيرات اختار أهل دار فور علي دينار، ليتولى قيادة السلطنة ورئاسة حكومة الظل لتحرير دارفور من المهدية ، فخاض معارك عنيفة مع المهديين منها معركة كرري التي استمرت ستة أيام اعتبارا من 2 سبتمبر(أيلول) 1898 ، وفي هذه الأثناء تمكن السلطان حسين محمد عجيب أبو كوده من القيام بثورته التي إطاحت بسلطة المهديين في دار فور في ابريل (نيسان) 1898 وأعلن استقلال سلطنة دارفور الإسلامية ، معلنا أمام الجموع الحاشدة من أهل دارفور القول : ((يا أهلنا ربنا خلصنا من التركية والمهدية ، وكل زول (أي شخص) يعيش حرا بدون عبودية،ربنا يا أهلنا أكرمنا وعتقنا))[2]. وربما كان من المفيد الاشارة هنا ، الى أن محاولات أهل دار فور في التخلص من حكم المهديين، كانت قد ترافقت مع أحداث دامية أخرى ، اضطرت الحكومة ، خوضها في وقت واحد تقريبا (1885 ــ 1889) ، وصراعات قبلية عنيفة ضد قبائل النيل ، التي ثارت نتيجة المكاسب التي حصلت عليها قبائل كردفان في ظل السلطة المهدية ، مما اضعف تلك السلطة ، التي وجدت نفسها محاصرة بعدة اعداء في الداخل والخارج ، ففي الداخل ، كان عليها مواجهة تلك الصراعات في مناطق متفرقة من السودان ، فضلا عن مواجهة سلطان دار فور في المنطقة الغربية ، وفي الخارج ، كان عليها مواجهة الجيش المصري ــ البريطاني في المناطق الشرقية ، ومواجهة نجاشي الحبشة . كل ذلك أدى إلى انهيار الحكم المهدي ، ليس في دار فور لوحدها ، وانما في كل السودان ، بعد أن اجتمعت كل تلك العوامل ضد سلطتها في السودان .[3]

كانت العلاقة بين أبو كودة وبين علي دينار من العلاقات الشائكة التي تحتاج إلى تحديد دقيق في كيفية التعامل معها ، لذا استشار أبو كودة رجاله الثقات في هذا الأمر ، ورأى هؤلاء ، أن يحارب أبو كودة الأمير علي دينار ، بعد أن أرسل الأمير المذكور رسالة مفادها ، أن يتنازل أبو كودة عن زعامة سلطنة دارفور ويتعاون معه في إدارتها ، لكن تلك الرسالة ، أشعلت نار الحرب بين الرجلين ، فجمع علي دينار جيشا كبيرا للزحف على دارفور ، وبعد أن تيقن أبو كودة ، انه ليس بوسعه المقاومة ، أرسل إلى علي دينار اعتذارا واعترافا له بالسلطة على دارفور [4] .

في تلك المرحلة ، أدرك الأمير علي دينار ، رغبة حكومة السودان (التي كانت خاضعة لسيطرة بريطانيا) ، ضم دارفور إليها وتقويض استقلالها، لذا أرسل إلى حاكم السودان البريطاني (كتشز) [*] ، يعلن قبوله بالتبعية الاسمية لحكومة السودان، شريطة الاعتراف به سلطانا على دارفور ، وشاءت الأقدار أن تكون سياسة حكومة السودان في تلك المرحلة هي عدم التدخل في شؤون دارفور حيث قرر البريطانيون ، أن

---

(3) المصدر نفسه ، ص 218 .

(4) Islam , on line net.

(1) سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص 323 .

(2) Islam , on line net .

(*) كتشز : قائد الجيش البريطاني المصري إلى منطقة فاشودة التي حدثت فيها أزمة فاشودة بين بريطانيا وفرنسا حول جنوب السودان 1896 ، ثم أصبح فيما بعد حاكم عام للسودان ، ينظر عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1974 ، ص 435 .

يرتضوا فعلا بسيادة اسمية على دارفور وترك أمرها إلى احد أبنائها ، لذا تم الاعتراف بالأمير علي دينار ، سلطانا على دارفور في مـــايو (أيار) 1901 شريطة أن يرفع العلمين المصري والبريطاني فـــي عاصـــمته الفاشر وان يدفع جزية سنوية مقدارها 500 جنيه [1] .

قام علي دينار بإصلاحات عديدة في دارفور ، فأقام نظاما إداريا متطورا لتسيير دفة الحكم ، مكون من مجلس للشورى ، كما عين مفتيا لسلطته ومجلسا للوزراء ، وأسس جيشا أوكل مهمـــة تدريبـــه لضـــابط مصري .بعد ذلك خاض عدد من النزاعات لتثبيت سلطته ، اثر عصيان بعض القبائل .

إلا أن تلك المرحلة شهدت تحولات سياسية هامة في المنطقة ، تمثلت باحتلال الفرنســـيين لســـلطنة وداي المجاورة في ابريل (نيسان) 1909، وكذلك استسلام سلطنة دار سيلا للفرنسيين في ذات المدة [2]. في حين انضمت سلطنة المساليت[*] إلى دولة السودان طواعية بعد أن قتل اشهر سلاطينها تاج الدين (قاهر الفرنسيين) في معركة (دورتي) سنة 1910، وهي ذات المعركة التي قتل فيها الكولونيل مول قائد القوات الفرنسية فـــي أفريقيا الاستوائية .

وأثناء الحرب العالمية الأولى (1914 _ 1918) التي خاضتها الدولة العثمانية ضد الحلفـــاء ، جـــاهر علي دينار بعدائه لحكومة السودان بل جهز جيشا لاختراق حدود السودان بقصد احتلال كردفـــان ، وأعلـــن استقلاله التام ، لذا قررت حكومة السودان السيطرة على دارفور والإطاحة بعلي دينار الذي ناصـــر الدولـــة العثمانية ضد الحلفاء ، و بعد عدة معارك بين الجـــانبين بـــين عـــامي (1915 _ 1916) ، اســـتخدم فيهـــا البريطانيين الطائرات الحربية، استطاعت القوات الغازية أن تدخل العاصمة الفاشر ، حينما تحـــالف بعـــض أعضاء مجلس الشورى وبعضا من جند علي دينار، مع أعدائه ، فطلب السلطان السلام ، فرد عليـــه القائـــد البريطاني بأن (السلام يتطلب الاستسلام) وانتهى الأمر بمقتل علي دينار في 6 نوفمبر(تشرين الثاني) 1916 وهو يؤم المصلين في صلاة الصبح ، وفي 1 / 1 / 1917 أعلن عن ضم سلطنته دارفور إلى السودان [3] .

وبهذا الحدث ، زالت دولة دارفور ، من الخارطة السياسية المعاصرة ، بعد أن كانت تشكل جـــزءا من حزام ممالك غرب أفريقيا ، لها عملتها الخاصة وعلمها الخاص[4] .

بعد ذلك وقع اتفاق ثلاثي بين السلطان بحر الدين (أندوكة) مع كل من بريطانيا وفرنسا سنة 1919، و بموجب ذلك الاتفاق ، أصبح من حق سلطان المساليت أن ينضم للسودان أو يقوم بتقرير مصيره [5] . وبذلك حسمت مسالة ما كان يسمى بسلطنة دار فور ، بعد استقلال كلي أو جزئي لسنوات عديدة من التاريخ الحديث امتدت من سنة 1445 إلى سنة 1917 ، لتشكل إقليما من أقاليم جمهورية السودان الحالية ..

ثالثا : الواقع الديني في إقليم دارفور :

يشير الواقع الديني في دارفور، إلى أن غالبية السكان من المسلمين ، حيث تبلغ نسبتهم في دارفـــور 99 % (أي أن نسبة المسلمين في دارفور تفوق نسبتهم في مصر) وهم معروفون بـــ (أهل القرآن) [6] .

---

(1) محمد أبو القاسم الحاج حمد ،السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل ، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1980 ، ص 101 .

(2) . www. Sudan jem . com / arabic .

(*) المساليت : وهي كبرى القبائل الأفريقية المستقرة في المنطقة ، ينظر نعوم شقير ، المصدر السابق .

(3) محمد أبو القاسم الحاج حمد ، مصدر سبق ذكره ، ص 101 .

(4) Islam , on line net .

(5) Islam , on line net .

(2) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 163 .

دخل الدين الإسلامي إلى دارفور منذ زمن طويل يعود في نظر البعض إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، أي منذ سلطنة الداجو وسلطنة التنجر التي انتهى حكمها في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، ثم ازدهر في عهد سلطنة الفور الكيرا. وكان السلطان شاودو ورشيد أخر سلاطين التنجر ، مسلما زوج ابنته لأحد علماء المسلمين وهو احمد سفيان المشهور بأحمد المعقور ، ووفد الإسلام لهذه السلطنات الثلاث من شمال أفريقيا وشمال غرب أفريقيا ، وأخيرا نزح اليها العلماء من سودان وداي النيل ، ومن ابلغ الدلائل على وجود الإسلام في دارفور منذ القدم ، هو وجود أوقاف التنجر بالمدينة المنورة منذ عهد السلطان احمد رفاعة التنجراوي دلالة على أسلمة سلطنة التنجر ، كما تم العثور على آثار لأنقاض جوامع بمدينة اروى حاضرة سلطنة التنجر شمال دارفور ، أي بالقرب من مدينة عين فرح الأثرية والتي تعتبر إقليما جغرافيا متميزا ، ويعد سجلا لتاريخ الحضارة الإسلامية في دارفور [1] .

تعددت عوامل انتشار الإسلام في دارفور قبل قيام سلطنة دارفور الإسلامية ، قبيل منتصف القرن الخامس عشر الميلادي بزمن طويل ، وهذه العوامل أتت ثمارها منذ أن انتشر الإسلام في بلدان غرب أفريقيا ووسط أفريقيا المعروفة جغرافيا باسم بلاد السودان الغربي والأوسط منذ القرن الحادي عشر ، حيث كان يمر حجاج هذه البلاد في طريقهم إلى بيت الله الحرام عبر دارفور ، إضافة إلى الاتساع في حركة التجار العرب وغير العرب من المسلمين في هذا الإقليم والتي لاقت ترحيبا ، وهو ما ساعد على توسيع مسيرة الإسلام وتوطيد اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم والتخاطب في شتى المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية ، وعندما أسس السلطان سليمان سلونق أي سليمان العربي سلطنة الفور الإسلامية (1445)[*] ،اهتم ببناء المساجد وفتح المدارس وتعمير الخلاوي بالمدن والقرى [2].

وواصل حفيده السلطان احمد بكر سنة (1726ــ 1746) نهج أسلافه في هذا المضمار فقد شجع هجرة العلماء للعمل بدار فور لنشر دين الإسلام ، بطريقة علمية مؤسسة فأوفد نفر من العلماء إلى غرب أفريقيا ومصر وتونس والمغرب والحجاز وسودان وداي النيل ، وحين دخلوا إلى تلك البلدان ، ووجدوا الرعاية فاستقروا بأوطانهم الجديدة ونشطت مدارسهم وازدهر العلم وقوي الإسلام هناك[3].

كذلك وفدت إلى دارفور قبائل أخرى، ليست عربية الأصل كان لها أثرها في نشر الإسلام في مراحل لاحقة ، نذكر منها قبيلة الفولاني التي جاءت من غرب جالون في القرن الثامن عشر ، فكان منهم العالم مالك على الفوتاوي حفيد العالم عثمان دان فوديو والعالم التمرو من غرب أفريقيا وأبو سلامة والفقيه سراج ، كما وفد الى دار فور وفد علماء من سلطنة البرنو، منهم العالم الشيخ طاهر أبو جاموسي الذي تزوج شقيقة السلطان تيراب (1768 ــ 1787) ، أما الميما فكان لهم دور عظيم في نشر الإسلام أيضا ، خاصة أيام سلطنة التنجر، وكان لهؤلاء العلماء الفضل في تعليم مذهب الأمام مالك ، واستفاد أهل دارفور من

---

(3) حسن الفاتح قريب الله ، المصدر السابق، ص 80 _ 100 .

(*) هناك من رأى ان سلطنة الفور ، أسسها سليمان (سلونجا) ، عام 1640 . ينظر رأفت الشيخ (د .)، مصر والسودان ، في العلاقات الدولية ، القاهرة ، 1979، ص 72.

(1) حسن الفاتح قريب الله ، المصدر السابق ، ص 100 .

(2) دارفور الأرض الغالية ، جريدة الاتحادي ، 11/27/ 2004 نقلا عن :

Http : www. Sudan. net

مدارس مصر وتونس والحجاز وسودان وداي النيل ، إلا إنهم في ذلك العهد تأثروا كثيرا بثقافة أفريقيا الإسلامية والمغرب العربي [1].

أعتبر أهل دارفور تعلم القرآن الكريم والكتابة واجبا دينيا على كل شخص رجلا كان أم امرأة ، وخاصة في طور الطفولة ، لذا هاجر بعض التلاميذ إلى خلاوي بعيدة ، وهو ما جعل حركة المهاجرين سمة من السمات الاجتماعية البارزة في دارفور ، وهناك إشارات بأن قبيلة الفور جعلت خلاوي المهاجرين مؤسسات قائمة بذاتها ، لها نظام وقواعد ومفاهيم مرتبطة بها ، ومن الطريف أنك قد تجد في بعض هذه الخلاوي تلاميذ كبار السن لم يحفظوا القرآن في سن مبكرة أيام طفولتهم ثم اقتنعوا بأن طلب العلم ليس له عمر محدد ، وتحصيل العلم واجب على كل مسلم ، وكان طالب العلم في القرآن ، في ذلك الزمان، مقدرا محترما من قبل سكان البلد ، وبعد حفظ الطالب للقرآن الكريم وتخرجه من تلك الخلاوي ، تذبح له الذبائح ويعرض عليه الزواج بواحدة أو أكثر من النساء ، لأنه أصبح شخصا مهما في المجتمع ، ومن ميزات حفظ القرآن ، إن صاحبه لا يطلب منه دفع المهر عند زواجه، اثر تخرجه إكراما له [2].

ومن هنا لا غرابة أن وجد في دارفور أعلى نسبة من حملة القرآن وحفظته قياسا بالبلاد الإسلامية الأخرى ، إذ تزيد عن نصف سكان دارفور . وكان في كل قرية مسجد يدرس فيه القرآن ، كما وكان لكل عالم مسجد بالقرب من منزله يصلي فيه الصلوات الخمس وبجواره خلاوي المهاجرين ، وكان بعض المهاجرين من يذهب إلى الأزهر بالقاهرة ، حيث بدأت هجرتهم منذ عام 1850 وخصص لهم في ذلك الوقت رواق بالأزهر اسمه رواق دارفور ما زال محتفظا بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، كما هاجر أهل دارفور إلى تونس وغرب أفريقيا طلبا للعلم [3] .

كانت علاقة السلاطين بالعلماء وطيدة وحميمة ، فالحكام كانوا يهتمون بنشر الدين الإسلامي وازدهاره اشد الاهتمام ، وكان للعلماء دور كبير في توثيق الصلات بين دارفور وبلاد مصر وتونس والمغرب والحجاز ، وكان لدور السلاطين في احتضان العلماء والفقهاء أثرا في إثراء كل ما يضمن الإسلام وتعاليمه ، وضمن السلاطين للعلماء حياة رغيدة أمنة مستقرة [4] وليس أدل على ذلك من حالات المصاهرة التي جرت بين العلماء والسلاطين كما مر بنا .

ومن الدلائل الأخرى التي تشير إلى اهتمام السلاطين في هذا الجانب انه عندما تقاعست مصر عن إرسال كسوة الكعبة المشرفة أيام السلطان علي دينار ، قام هذا السلطان ببناء مصنع في مدينة (الفاشر)

---

(3) محمد جمال عرفة ، دارفور التاريخ والقبائل الجانجوبيد نقلا عن : Islam , on line net

(1) محمد إبراهيم الحاج موسى ، مصدر سابق ، ص 525 ، كذلك ؛ حيدر إبراهيم علي ، الإنتيلجنسيا السودانية بين التقليدية والحداثة ، مجلة المستقبل العربي ، السنة العاشرة ، العدد 154 ، تشرين الأول ، 1987 ، ص 80 .

(2) مصطفى عاشور ، تاريخ دارفور عبر العصور ، 18/ 8/ 2004 نقلا عن : Islam , on lin net

(3) Ibid

(عاصمة دارفور) لصناعة كسوة الكعبة وظل طوال عشرين عاما يرسل الكسوة إلى مكة المكرمة من الفاشر، ولذا لا غرابة أن يطلق على أهل دارفور بأنهم (كساة الكعبة) و(حراس الحجيج) في عهد سلطنة الفور [1] .

كما تفرد السلطان علي دينار بأعمال الأوقاف في الحجاز وخدمة الحجيج ، ومن الشواهد على ذلك أوقاف السلطان علي دينار في الحجاز ، وآبار علي على مشارف المدينة المنورة وباب شريف بمدينة جدة وبالمقابل دعم العلماء ، السلاطين بدعواتهم وإرشاداتهم ونصائحهم وكان للعلماء دور في توحيد القبائل وتجميعها في دارفور [2] .

رابعا : أثر العوامل الداخلية والخارجية في مشكلة دارفور :

وتأسيسا لما تقدم ، يتبين لنا أن مشكلة دارفور تكمن خلفها عدة عوامل مؤثرة ، شكلت أساسا ومنطلقا لظهور أزمات متلاحقة في إقليم دارفور فيما بعد ، فقد تبين لنا مدى التعددية العرقية والقبلية ، التي هيأت لبعض الصراعات الداخلية، فضلا عن النشاط الاقتصادي المتخلف للسكان والآلية الاقتصادية للتعامل مع الموارد المحدودة ، يضاف لها العامل الخارجي ، الذي توافد إلى المنطقة متمثلا بالتواجد التركي ــ المصري أو المصري ــ البريطاني ، وما نتج عن ذلك التواجد من أعمال مقاومة استمرت لسنوات عديدة ، فضلا عن التداخل الحدودي مع دول افريقية عديدة ، نتيجة الامتدادات القبلية المتداخلة عبر حدود الإقليم و ما ترتب عليها من انعكاسات للمشاكل بين المجموعات القبلية المختلفة،في الدول المجاورة .

ويتفق معظم الكتاب على أن إقليم دارفور عانى من مشكلة أخرى طوال مرحلة الاستعمار البريطاني للسودان ، تمثلت بالتهميش الواضح لسكانه على امتداد تاريخ السودان الحديث ، فقد تعامل الاستعمار البريطاني بحذر مع هذا الإقليم بعد أن همشه بصورة كبيرة ، ومارس في أجزاء واسعة منه ، سياسة المناطق المقفلة ، خوفا من انتشار الروح الثورية والنزعات الاستقلالية الكامنة في دارفور والتي عبرت عنها ثورة الفكي عبد الله السحيني سنة 1921[3].

كما استمرت سياسة التهميش في ظل الحكومات المركزية المتعاقبة في الخرطوم خلال الحقب المعاصرة أيضا ، رغم الإسهام الكبير لهذا الإقليم في الدخل القومي السوداني من خلال ثروته الحيوانية في الوقت الذي لم يحصل الإقليم على نصيبه من هذه الثروة وما يأتيه من الميزانية لا يتناسب مع إسهامه فيها كما أن مستوى التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية في الإقليم كان متدنيا[4]. تجدر الإشارة هنا ، إلى أن غالبية أفراد النخب السياسية الحاكمة (المدنية والعسكرية) في السودان ،قد جاءت من منطقة الوسط النيلي أي من شمال السودان ، كما تسميه بعض المصادر ، وهيمنت على الحكومات المركزية وأجهزتها المختلفة . فنجد مثلا أن سكان دار فور لم يتم تمثليهم في المناصب الدستورية ، في العديد من الحكومات السودانية ،في مرحلة ما بعد الاستقلال ،كما يظهر ذلك بوضوح في الجدول أدناه .

---

(1) Islam , on line net,op,cit.

(2) Ibid

(3)عطية عبد الجواد ، مشكلة جنوب السودان ،مجلة السياسة الدولية،القاهرة العدد 2 ، 1965، ص174

(1) محمد سعيد هجرس ، السودان بين مشاكل التعددية وأزمة البحث عن هويته ، مجلة المنار ، باريس ، العدد 3 ، السنة الأولى ، آذار ، 1985 ، ص 233 .

(2) الجدول من اعداد الباحثين ، مستفيدين من عدة مصادر منها :

جدول يمثل تمثيل اقليم دار فور في السلطة التنفيذية منذ عهد الاستقلال وحتى الوقت الحاضر([1])

السنـــــوات	المـــنطقة	عدد المناصب الحكومية	النســـــبة المئوية	المـــــلاحظات
1956ــ 1958	الجنوب الشمال الغرب بما فيها(دارفور)	بدون مناصب	% 16, 4 % 79 ,5 % 0	خلال عهد الاستقلال ولخمسة حكومات (الأزهري) الاولى والثانية والثالثـــة. أي أن 5, 4 % من مجموع السكان مثلوا في السلطة التنفيذية بنسبة 5, 79 % .
1958ــ1964	(دارفور)	بدون مناصب	% 0	حكومات، عبدالله خليل ، ابراهيم عبود وســـر الختم .
1964ــ 1969	(دارفور)	بدون مناصب	% 0	حكومات ، محمد احمد محجـــوب، (1965) و(1968) وحكومـــات الصـــادق المهـــدي (1966ــ 1968) .
1969ــ 1985	الجنوب الشمال دار فور وكردفان	4 مناصب	% 17, 5 % 79 % 3,5	عهد جعفر نميري (الحكومة المايوية)
1985ــ 1986	الجنوب الشمال دار فور وكردفان	7مناصب(*) 21 منصب 1 منصب	% 27,7 % 70 % 3,3	حكومة المجلس العسكري أو حكومة (عبد الرحمن سوار الذهب) (*) استخرج الرقم على اساس النسبة
1989ــ	دار فور وكردفان	3 مناصب	% 20	حكومة الانقاذ (محمد حسن البشير)

إلا إن ذلك لا يعفي احد من المسؤولية التاريخية في إهمال الأحوال المختلفة للإقليم ، ومن بين هـــذه النخـــب قيادة حزب الأمة التي حضيت طوال تاريخها بدعم أهل الإقليم لهـــا ، ولطائفـــة الأنصـــار إلـــى منتصـــف السبعينات[2] . حتى عد الإقليم ، منطقة مغلقة لصالح نفوذ ذلك الحزب . ولاســـيما وان مـــواطني دارفـــور أسهموا ايجابيا في جميع النشاطات السياسية الوطنية وشاركوا في النضال ضد حكم الرئيس إبـــراهيم عبـــود دعما لحزب الأمة أو عبر منظمة سوني وجبهة نهضة دارفور [3] .

---

sudanjem . com ,arabic,books- black-book-firstmnoqadim.htm.

(1) آزاد محمد سعيد ، الانقلابات العسكرية في العالم الثالث ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغـــداد، ، كلية العلوم السياسية ، أيلول ، 1995 ، ص ص 170ــ 188 .

(2) محمد عمر بشير ، تطور الحركة الوطنية في السودان 1900 _ 1969 ،الدار السودانية ، الخرطوم ، 1980 ، ص 237 . كذلك ؛ محمد أبو القاسم الحاج حمد ، المصدر السابق ، ص 188.

(3) hrw . org / arabic .

لقد شكا العديد من أبناء دارفور من تعرضهم للتهميش والتمييز السلبي من قبل بعض السكان وسط السودان ، ويعزو البعض ذلك ، لواقع سحنتهم الأفريقية ولكونهم يشتغلون غالبا في أعمال يدوية وخدمية بسيطة ، وهناك مثل شعبي شائع في السودان يقول (ألبجي من الغرب ما بسر القلب) [1] .

وشكوى أهل دارفور من موضوع التهميش والتمييز السياسي ، يؤكدها الواقع السياسي في السودان، إذ لم يتولى قمة المركز السياسي في حكم السودان أي شخص من أهل الغرب عموما ، ودار فور خصوصا ، منذ الحكم المهدي قبل حوالي مئة عام ، حينما تولى القيادة الخليفة عبد الله ود تورشيل 1892 ، وهذه التجربة ، التي حاول أهل النيل إسقاط كل خيباتهم فيها على المهدية ، حيث تم تحميل الخليفة عبد الله وأهل الغرب عموما كل أخطاء تلك المرحلة ، بحيث صورت عقلية أهل النيل في المخيلة الشعبية حكم أهل الغرب بالعنصرية والتمييز المسبق ضدهم ، وبهذا أصبحت أية محاولة للسيطرة على الحكم المركزي من قبل أهل غرب السودان توصف بالعنصرية ، بينما وصفت أعمال النخبة النيلية ، من ذات النوع ، بالوطنية والقومية !؟؟ [2] .

افرز ذلك التهميش عدة حركات نادت بالتوزيع العادل للسلطة والثروة وتطبيق قانون فيدرالي يمنح الإقليم حق حكم نفسه ذاتيا ، ومن تلك الحركات ما طالبت به منظمة (سوني) و (جبهة نهضة دارفور) في إعقاب (ثورة) 1964[3] .

لقد عبرت أزمة دارفور عن الاختلال التاريخي للقوى السائدة في المجتمع السوداني ، وفي توزيع الثروة القومية واختلال البرامج التنموية بين مناطقه المختلفة كذلك ، حيث غابت التنمية عن دارفور منذ الاستقلال ولم يتم تطوير الموارد الطبيعية المتمثلة في الزراعة والثروة الحيوانية ، كما تناقصت الموارد الطبيعية ، بسبب التدهور البيئي ، وانعدام الإدارة الجيدة فضلا عن تأكل المؤسسات التي تعنى بإدارتها والحفاظ عليها وهي وان كانت مؤسسات مركزية إلا إنها لم تحظى بدعم الحكومات المتعاقبة [4] .

و توافق مع ذلك كله تعرض دارفور وشمال الإقليم بوجه خاص إلى موجة الجفاف الشهيرة في السبعينات ، والتي نجم عنها المجاعات في مواقع مختلفة من الإقليم مما أدى إلى حراك سكاني هائل من شمال الإقليم إلى جنوبه، لما تمتع به من موارد طبيعية أفضل بكثير من تلك التي توفرت في الشمال ، وكان من الأفرازات السلبية السياسية لذلك أيضا ، قيام تنظيمات مسلحة متباينة الأهداف ، فضلا عن لجؤ بعض الأفراد إلى تكوين عصابات للنهب المسلح كوسيلة لدعم النشاط العسكري للمجموعات المتمردة من جهة وللمكاسب الشخصية من جهة أخرى كذلك [5] .

إن شحة الموارد الطبيعية والنزوح المتكرر من الشمال إلى الجنوب وما شكلته من ضغط على موارد المراعي والمياه والأرض والغطاء النباتي أدت بدورها إلى تدهور الموارد الطبيعية المتاحة لجنوب دارفور (الإجهاد الرعوي) over grassin والزراعة المتنقلة shifting cultivation مما أدى إلى احتكاكات

---

(4) hrw . org / arabic, op,cit

(5) محمد عمر بشير ، المصدر السابق ، ص 237 .

(1) حسن أبو طالب ، جنوب السودان ، الحلقة المفرغة ، مجلة المنار ، العدد 50 ، السنة الخامسة ، شباط ، 1989 ، ص 18 .

(2) فتحية محمد حسن ، المصدر السابق ، ص 52 .

قبلية بين القبائل المختلفة ، نتيجة الضغط على الموارد الشحيحة أصلا مما قاد إلى مسلسل من العنف والقتال بين الجماعات المختلفة[1].

في ظل تلك الأوضاع المختلفة ، أدت هذه الاحتكاكات بدورها إلى انفجار صراعات أثنية وقبلية بين المجموعات المختلفة ولهذا لم نرى عام يمضي دون أن تنفجر في مناطق دارفور المختلفة مثل هذه الصراعات ، إلا إن تلك الصراعات لم تتخذ طابعا عنصريا ، وإنما كانت تتم بين مختلف المجموعات الرعوية ، وكانت وبالقدر نفسه ، تدور بين المجموعات العربية وغير العربية تدور أيضا بين المجموعات العربية نفسها ، أو بين مجتمعات غير عربية مختلفة [2] .

ولم تتدخل الحكومات المتعاقبة لتطويق تلك الصراعات القبلية وإنما تركت أمر حلها للقيادات القبلية والمحلية ، والتي بذلت ما في وسعها لحلها وفقا للأعراف المحلية ، لكن استمرار التدهور البيئي وضعف الموارد كانا السبب في تجدد أو استمرار الصراع ، مما جعل القيادات الأهلية (المحلية) لا تمتلك إمكانية حلها حلا جذريا ، بل على العكس من ذلك ، نجد أن حكومة جعفر نميري (1969 ــ 1985) أقدمت على حل تلك الإدارات الأهلية (حكم زعماء القبائل) لأن تلك الزعامات ، شكلت بؤر للرجعية والتخلف [3]، ينبغي التخلص منها ، وفقا لمنظور تلك السلطة .

أما الأسباب الخارجية لمشكلة دارفور فقد تمثلت في عهد الدولة السودانية التي نشأت من خلال عملية قسرية بترسيم هندسي للحدود بما يخدم مصلحة المستعمر ولم تتمكن حكومات الاستقلال المتعاقبة من استعادة التوازن للدولة ، وكل التمردات التي ظهرت فيما بعد هي تعبير عن الحاجة إلى التوازن ، فقد أدت الانفرطات الأمنية والأحداث السياسية في بعض الدول المجاورة لإقليم دارفور عبر التاريخ إلى نزوح عدد كبير من قبائل تلك الدول وخاصة تشاد وأفريقيا الوسطى إلى إقليم دارفور وما ساعد على ذلك ، التداخل الأسري واللغوي والتاريخ المشترك للمنطقة والتي كانت فيما مضى مملكة واحدة فيما سميت قديما بالسودان القديم والذي يمتد من السنغال وغامبيا علىالأطلسي إلى إثيوبيا ،على البحر الاحمر[4]، هذا التداخل ، يكاد يكون ظاهرة عامة في دول العالم الثالث .

ان هذا التداخل القبلي في المناطق الحدودية وعدم وجود موانع طبيعية للفصل بين البطون السودانية وغيرها شجع العديد من القبائل الحدودية المشتركة على العبور إلى داخل الأراضي السودانية لنصرة فروع القبيلة المتصارعة والوقوف معها في صراعاتها ضد القبائل الأخرى. ولم تقف المسألة عند هذا الحد ، فقد أدخلت الحكومات المركزية في السودان دارفور في معمعة الصراعات الإقليمية ، وجعلت منه معبرا لمختلف القوى المساهمة في الصراعات. وساهمت هذه الحكومات بالتدخل المباشر في النزاع التشادي والتشادي الليبي تنفيذا لمخططات عالمية ليس لسكان دارفور مصلحة فيها ، وأدت هذه التدخلات غير المسؤولة بالسماح

---

(3) مهدي أمين التوم ، مصدر سابق ، ص 10 .

(2) Islam , on line net

(1) ماجد محيي عبد العباس ، النظام السياسي في السودان 1985 ــ 1994، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 1996 ، ص 212 .

(2) صلاح الدين الشامي ،السودان دراسة جغرافية، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، 1973، ص 25 ، كذلك انظر الشاطر بصيلي عبد الجليل ، تاريخ وحضارة السودان الشرقي والأوسط ، القاهرة 1972 ، ص 8 .

للجيوش الأجنبية بدخول الإقليم والتحرك فيه والضرب منه والهرب اليه كما أن تـوفر كميـات هائلـة مـن الأسلحة في الإقليم ، شجع على انتشار ثقافة ونزعة الحرب ، وتزايد ظاهرة النهب المسلح [1] .

فقد انتشرت ظاهرة النهب المسلح التي مارستها عناصر شاذة عن مجموعات قبلية مختلفة ، معتبرة أن مثل هذه الأعمال يمكن أن تكون وسيلة لكسب العيش . تلك المجموعات تلقت الدعم من عناصـر خـارج الإقليم ومارست تجاوزاتها بقسوة وعنف وينبغي التأكيد على أن تلك الظاهرة ، لم تكن مرتبطة بقبيلة معينـة إنما تكاد تكون ظاهرة قبلية مشتركة . وأمام التسلح الجيد لعصابات النهب المسلح وتمرس أعضـائها علـى فنون القتال ، وضعف الانسجام الحكومي في سنوات حكم نميري (1969 ــ 1985) عبثت تلك العصـابات بأمن الإقليم ، ثم أخذت تزداد قوة حتى أصبحت تعرف (بالجانجويد(*)) [2] . وبذلك فقد دخلت مشـكلة دار فور مرحلة جديدة أكثر تعقيدا من المراحل السابقة .

الخاتمـة

بعد أن تعرفنا على جملة من الحقائق المختلفة والمتصلة بأصل المشكلة في دار فور، لاسيما الحقائق الاقتصاديـة المتعلقة بـ (أنماط الإنتاج) ، أو الاجتمـاعية المتصلة بطبيعـة الصـراعات (القبليـة والعرقية) أو السياسية ،المتمثلة بسياسية التهميش لسكان الغرب السوداني عامة ، وسكان دار فور بصـورة خاصة من قبل الحكومات السودانية المتعاقبة ..

نستطيع القول هنا ، أن مشكلة دار فور التي طفت إلى سطح الأحداث السياسية في السـنوات الأخيـرة ، ليست مجرد مشكلة عابرة أو وليدة افراز حدث ما ، نتج عنه تداعيات ظهرت على ما هي عليه اليوم . إنمـا هي مشكلة مستعصية تعددت وجوهها وتعقدت أسبابها ، حين أمتد بها الزمن سنين طويلة عبر مراحل متعددة من التاريخ الحديث ، دون أن تجد لها حلا موفقا أو صدى كبيرا ، لدى العديد مـن الحكومـات السـودانية المتعاقبة في العصر الراهن ، كما تبين لنا ذلك بوضوح من خلال الدراسة . إن هذه المشكلة هي دون شك ، ليست نتيجة لعامل محدد بذاته ، إنما هي نتيجة تفاعل عناصر وتداعيات عديدة ومعقدة ، داخلية مزمنـة ، تداخلت فيها العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، المحلية منها والإقليميـة بـل و حتـى الدوليـة. واستثمرتها قوى سياسية لها مصلحة في تفجير هذا النوع من الصراعات في المنطقة ، بصرف النظر فيما إذا كانت تلك القوى ، داخلية أم إقليمية أم دولية . إلا إن دراستنا لتاريخ تلك المشكلة من وجوه عـدة ، ربمـا منحتنا الفرصة على استنتاج بعض الحقائق الأخرى ، غير الظاهرة للعيان ، والتي نعتقد إنهـا تكمـن وراء أستمراريتـها حتى الوقت الحاضر، وتتمثل بجملة معطيات واقعية أهمها ما يلي :

- بات واضحا من إن ظاهرة التداخل الاجتماعي (القبلي ، العرقي ، الديني) الحدودي بين العديد من شعوب البلدان المتجاورة في العالم ، ليست ظاهرة خاصة بإقليم دار فور أو بالسودان كبلد ، إنما هي ظاهرة تكـاد تكون دولية عامة ، واجهتها العديد من الدول ، وبخاصة دول العالم الثالـث ، التـي تعرضـت لسياسـات

---

(1) الفاتح عبد الله عبد السلام ، العلاقات السودانية التشادية المعاصرة ، مجلة السياسية الدولية ، القـاهرة ، العدد 108 ، 1992 ، ص 227 .

(*) الجانجويد : مليشيات مسلحة من القبائل العربية في دار فور ، نشأت أيام حكم الرئيس السوداني الأسبق جعفر نميري ، عندما تم دعم العناصر الخارجة على القانون بغية الاستفادة منهم ، لأغراض سياسية خاصة . ينظر : hrw . org / arabic .

(2)Ibid

استعمارية خارجية معروفة ، في المراحل التاريخية السابقة . بعد أن تم ترسيم حـــدود العديـــد منهـــا ، دون مراعاة للواقع التاريخي أو المصالح الاقتصادية المشتركة لشعوب تلك الدول أو رغباتها ، استنادا لمبدأ حق تقرير المصير، او غير ذلك من الاسس التي فيها قدرا من العدالة والأنصاف ، إنما جرى ذلك بنـــاء علـــى مصالح القوى التي استحوذت على أرادة تلك الشعوب المستعمرة خلال المرحلة الاستعمارية في العصـــور التاريخية الحديثة .

إلا ان ذلك لا يمكن أن يكون ذريعة دائمة للحكومات الوطنية التي مارست السيادة الداخلية الفعلية على شعوبها لسنين طويلة أيضا . ومنها الحكومات السودانية الوطنية المتعاقبة ، لو انها قامـــت بعمليـــات تنميـــة حقيقية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية المطلوبة لمواطنيها لعقود خلت من الـــزمن . أنما حصل العكس من ذلك ، فكان التقصير أو الإهمال المتعمد أحيانا ، او القيام بأعمال مـــن شـــأنها إدامـــة المشكلة وتعقيدها ، كما تبين لنا ذلك بوضوح مثلا ، خلال سنوات حكم جعفر النميري في السودان (1969 ــ 1985) ، أو غير المتعمـــد أحيانا أخرى ، مما ولد ردود أفعال سلبية لـــدى مـــواطني دارفـــور ، جعلـــتهم يشعرون بإنتمائاتهم الاجتماعية الفرعية الضـــــــيقة(القبلية ، العرقية ،...الـــخ) ، بـــدلا عـــن شـــعورهم بالرابطة الوطنية السودانيـــة.في حين أثبتت العديد من التجارب التاريخية ، في دول عديدة أخرى ، أمكانيـــة العيش المشترك لجماعات مختلفة اجتماعيا(دينية ، قومية ، طائفية ، ...الخ) ، عند توفر النظـــام السياســـي والاقتصادي العادل والفاعل ، والذي يكفل العيش المناسب والحد الادنى من الحقـــوق والحريـــات اللازمـــة للانسان ، في ظل سيادة القانون والمساواة بين المواطنين ، داخل حدود الدولة المعاصرة ، كما هو الحال في السويد ، روسيا الأتحادية ، الولايات المتحدة الامريكية ، الهند ، وغيرها . إلا إن عدم توفرالحدود الدنيا لمثل تلك الشروط لمواطني دار فور ، كان على ما يبدو قد عقد من طبيعة المشكلة أكثر فأكثر.

• ديمومة النظام الاجتماعي ــ الاقتصادي السوداني ، على وفق تراتبية حافظـــت علـــى ســـيطرة القـــوى والزعامات التقليدية ، والنافذة في مجتمع دار فور ، على مدى مراحل تاريخية طويلة عزز مـــن أمكاناتهـــا الذاتية لمواجه إحداث أي عملية تغير جدية في الواقع السياسي أو الاقتصادي ، بما ينال من مصالحها الطبقية بعد ان احتفظت بها لزمن طويل وعلى مدى أجيال متواصلة . ولم تواجه بفعل حقيقي يستهدف تغيـــر بنيتهـــا المتـــحجرة في الصميم .

• غياب ، أو ضعف المؤسسات المدنية الوطنية الحديثة القائمة في السودان ، (احزاب سياسية ، منظمـــات نقابية ، منظمات المجتمع المدني الأخـــــــرى) وغيرها فضلا عن ضعف المؤسسات التعليمية والثقافيـــة الحديثة العامة ، عزز هو الأخر من امكانية المؤسسات التقليدية السابقة ، بحيث جعل منها التنظـــيم الأكثـــر تأثيرا وفاعلية في المجتمع السوداني الحالي ليس في دار فور وحدها وإنما في بقية الأقاليم السودانية الأخرى أيضا .

• ظل الهاجس الرئيس للطبقة السياسية التقليدية داخل السلطة وخارجها ، وبخاصة النخب العسكرية ، كيفيـــة الاستحواذ على السلطة والتربع على عرشها من دون أي محاولة جـــادة لإشـــراك بقيـــة القـــوى السياســـية والاقتصادية الصاعدة ، فضلا عن اهمال بقية القوى الاجتماعية المؤثرة ، ولاسيما مواطني غرب الســـودان عامة ومواطني دار فور بشكل خاص .

• لا يمكن إغفال دور القوى الخارجية الطامعة وإمكانياتها في إثارة الصراعات الداخليـــة فـــي الســـودان ، مستغلة نقاط ضعف القوى الداخلية لتحقيق مصالحها الخاصة ، كلما ظهرت امكانية لتحقيق ذلك .

مصادر البـــحث :

أولا: الكتب العربية والمعربة :

1. احمد زكريا الشلق ، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، الدوحة 1996 .
2. جودة حسين جودة ، جغرافية أفريقيا الإقليمية ، الإسكندرية ، 1985 .
3. حسن الفاتح قريب الله ، التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج ، جامعة الخرطوم ، 1987
4. رأفت الشيخ (د .) ، مصر والسودان في العلاقات الدولية ،القاهرة 1979.
5. سيار كوكب علي الجميل (د.) ، تكوين العرب الحديث 1516ــ 1916، الموصل 1991 .
6. سعد الدين فوزي ، جوانب من الاقتصاد السوداني ، المطبعة الكمالية ، القاهرة 1958.
7. الشاطر بصيلي عبد الجليل ، تاريخ وحضارة السودان الشرقي والأوسط ، القاهرة 1972 .
8. صلاح الدين الشامي ، السودان دراسة جغرافية ، الإسكندرية ، 1973 .
9. عبد العزيز كامل ، دراسات في الجغرافية البشرية للسودان ، القاهرة 1974 .
10. عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيــروت 1974.
11. قيصر موسى الزين ، فترة انتشار الإسلام والسلطنات في افريقيا ، مركز محمد عمر البشير للدراسات السودانية ،الخرطوم ،ط1 ، 1988.
12. محمد أبو القاسم الحاج حمد ،السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل ، بيروت ، 1980.
13. محمد احمد كرار ، انتخابات وبرلمانات السودان ، الخرطوم ، 1992 .
14. محمد إبراهيم الحاج موسى ، التجربة الديمقراطية ونظام الحكم في السودان ، القاهرة 1970 .
15. محمد عمر بشير ، تطور الحركة الوطنية في السودان 1900 _ 1969 ،الخرطوم ، الدار السودانية ، 1980 .
16. محمد محمود الصياد ، اقتصاديات السودان ، منشورات الجامعة العربية ، القاهرة 1975 .
17. مكي شبيكة ، السودان عبر قرون القاهرة ،1967 .
18. مهدي أمين التوم ،مناخ السودان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة 1974 .
19. نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ج 1 ، بيروت 1967 .

ثانيا : الرسائل الجامعية :

1. آزاد محمد سعيد ، الانقلابات العسكرية في العالم الثالث ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، 1995 .
2. فتحية محمد حسن،تحليل التغيرات الهيكلية في الاقتصاد السوداني ، رســالة ماجستير (غيــر منشورة) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد 1988.
3. ماجد محيي عبد العباس ، النظام السياسي في السودان 1985 ــ 1994، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، 1996 .

ثالثا : الدوريات والصحف :

1. حسن أبو طالب ، جنوب السودان ، الحلقة المفرغة ، مجلة المنار، العدد 50 ، شباط 1989.

2. عطية عبد الجواد ، مشكلة جنوب السودان ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد 52، سنة 1965 .
3. الفاتح عبد الله عبد السلام ، العلاقات السودانية ــ التشادية المعاصرة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 108 ، 1992 .
4. محمد سعيد هجرس ، السودان بين مشاكل التعددية وأزمة البحث عن هوية ، مجلة المنار، باريس ، العدد 3 / آذار / 1985 .

رابعا: المصادر الأجنبية :

(1) Medani Mohammed Ahmed , development of agriculture in the sudan , university of Khartoum , 1994 .
(2) Minstry of infromation, repluic of the sudan , investment puplic corporation , 1993.
(3) William Benton , Helen Hemingway vol , 17 the new Encyclpadia , london , 1975.

خامسا : مواقع شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) :

(1) http, www. Sudan .
(2) Islam , on line net.
(3) www. Sudan jem . com , arabic .
(4) www. Sudan jem . com , arabic
(5)hrw . org / arabic / reports / 2004 / sudan - darghtm .
(6) www. Midan . net .
(7) www. Alwatan . com .
(8) www. Rayaam . com
(9) alan bua@ alanbau.